**صوت منصف**

**بقلم السنوسى محمد السنوسى**

**مع كل تفجير هنا او هناك يجد المسلمون انفسهم حتى من قبل التحقيقات فى زاوية الحصار ويتم فى وسائل الاعلام استدعاء حوادث لا يثبت اكثرها امام التمحيص والتدقيق حتى ما ثبت فعله منها من قبل مسلمين فإنه لايصح تعميم إثمه على مليار ونصف مليار ولا تحميل خطئه على الاسلام وثقافته وحضارته لكن للأسف اذا كنا بصدد الاسلام والمسلمين فإن قواعد راسخة وحقائق اولية يتم القفز عليها وركلها فى استهانة مفجوجة بالحقوق والحقائق فهل يختلف اثنان على انه لا توجيه لاتهام قبل التحقيقات شفاهة ودقيقة وانه لاتزر وازرة وزر اخرى وان التطرف عابر للأديان والاجناس وان مانسب لبعض المسلمين مدان ومستنكر من اكثرهم ومن مجامعهم العلمية ذات الثقل المعرفى فلم إذ ن تلك الحملة الشعواء على الاسلام والمسلمين التى تتجدد مع كل حادثة ورغم ان ثمة كتابات منصفة ابرزت رؤية الاسلام الانسانية الراقية للمخالفين ووثقت تعامل المسلمين السمح مع غيرهم واشادت بإسهاماتهم الفكرية والتقنية التى عادت بالنفع على بقية الامم فإنها كتابات تظل قليلة الاثر أمام ذلك الحشد الاعلامى المتدفق الذى يراد منه وصم امة الاسلام بالارهاب والتطرف فكتابات مثل حضارة العرب للعلامة غوستاف لوبون والاسلام خواطر وسوانح للكونت هنرى دى كاسترى والدعوة الى الاسلام للسير توماس ارنولد وشمس الله تشرق على الغرب للدكتورة سيجرد هونكة اضافة الى جهود اخرين كثيرين مثل انا مارى شيمل وكارين ارمسترونغ فضلا على اسهامات الغربيين الذين اسلموا فى مقدمتهم محمد اسد وجارودى وهوفمان قد اعادت بعض الاعتبار للاسلام والمسلمين من جهة واكدت من جهة اخرى وجود عقلاء منصفين وسط هذا الركام يمكن معهم مد الحوار وتدعيم جسور الثقة لتصحيح الصورة المغلوطة وتجاوز المشاغبات والافتراءات**

**بلينيل من اجل المسلمين**

**إيدوى بلينيل هو صوت منصف سنقف معه هنا بشىء من التفصيل وقد حاول امام ما يثار عن مشكلة الاسلام فى فرنسا التصدى من خلال الانحياز بعقلانية لمواطنينا من اصول وثقافة او عقيدة اسلامية لمواجهة اولئك الذين يقدمونهم اكباش فداء لقلقلنا وحريتنا**

**بلينيل صحفى فرنسى مشهور تولى رئاسة تحرير جريدة لوموند الفرنسية مابين 1996 – 2004 وهو يرأس حاليا ادارة جريدة ميديابارت الالكترونية وقد اصدر كتابه من اجل المسلمين الذى احدث دويا فى فرنسا رغبة منه فى كشف قطاعات سياسية واعلامية راى انها جنحت الى خطاب صراع الحضارات المثقل بماض استعمارى لم يتم التخلص منه قط اهمية من اجل المسلمين ان بلينيل كتبه بوعى عميق سياسيا وتاريخيا وبصراحة شديدة جدا ربما لو صدرت من احد المسلمين لكان اتهم بمعاداة فرنسا او التحامل على الغرب يلفت بلينيل انى محاولات احلال العداء للمسلمين محل العداء لليهود فى لعبة صناعة العدو لليهود فى لعبة صناعة العدو الداخلى قاتلا انه فخ مكشوف ولكنه فعال مع الاسف ان اليمين المتطرف لم يغير ابدا اصله التجارى اى الخوف والكراهية المتأججة وتعيين اكباش فداء لكنه غير الهدف من خلال الحدس بأنه فى ظل الارتباك العام المستشرى والعقول المبلبلة فإن حركة معادية للاجنبى ستحظى بالحق فى الاحترام اذا نأت بنفسها عن معادية السامية ويستشهد بما رصدته الباحثة والمؤرخة فاليرى إيغونى من أنه اليهودى هو عدو الجبهة الوطنية بل المسلم الفرنسى ويسبب من هذا التشابه فى التعامل مع اليهود سابقا ومع المسلمين حاليا لتبرير الفشل فى المشكلات الداخلية بتعليقها على شماعة الهجرة وعدم قدرة المسلمين على الاندماج فإن بلنيل اطلق صرخته من اجل المسلمين على غرار صرخة من اجل اليهود التى اطلقها الاديب الفرنسى ايميل زولا 1896 ويقول بلينيل فى صراحة تحمد له الكراهية المسلطة على الاسلام وممارسيه من طرف لاتكية متعصبة وخائنه للائكية الحقيقة فى تعبير عن الانكار الاجتماعى للمهيمنين على المضطهدين اى انهم يهربون من استحقاقات المسألة الاجتماعية عدالة ومساواة باثارة مسألة الوجود الاسلامى**

**من اجل فرنسا**

**يوضح بلينيل ان صفارة الانذار التى يريدها ان تصدح عاليا من خلال ما اسماه الدفاع عن المسلمين فى اطار التنوع ليست دفاعا عن المسلمين فحسب بل هى ايضا دفاع عن فرنسا ذاتها اعتقادا منه كما كان يعتقد ايميل زولا بأن الجمهورية لايمكن ان تكون الا فى اطار الحركة والخلق والابداع عكس المحافظة والجمود اللذين يدعوان الى النبذ ويؤيدانه ويغذيان الخوف ويضيف بلينيل تلك هى صفارة الانذار التى اريدها ان تصدح عاليا ان هذا ليس رهانا تضامنيا فحسب بل رهان الوفاء لتاريخنا وذاكرتنا وارثنا ودفاعا عن المسلمين كما يمكن ان يكون دفاعا عن اليهود ودفاعا عن السود وعن الغجر الروم او ايضا دفاعا عن الاقليات وعن المضطهدين او باختصار دفاعا عن فرنسا بل يؤكد بلينيل ان نجاح فرنسا فى التعامل مع ابنائها المسلمين يمثل مدخلا فعالا فى علاقتها بالعالم فيقول ان مصيرنا الفردى والجماعى مرتبط عمليا بالمصير المخصص لمسلمى فرنسا فهو الذى يمتلك اليوم مفتاح علاقتنا بالعالم وبالاخرين وذلك بحسب ما اذا كنا نسعى الى فك العقد او تضخيم التوترات نسعى الى التهدئة باعتماد العقل او نؤجج باعتماد الانفعالات مشكلة اسلامية مفترضة**

**رفض التعميم**

**يحذر بلينيل من تعميم اخطاء يرتكبها افراد على كل المسلمين وهو السلوك الذى تلجأ اليه وسائل اعلام او سياسيون لتحقيق مكاسب انتخابية فيقول ينبغى الا تكون الجرائم المرتكبة من مسلمين مزعومين والتى اغرقت المسلمين انفسهم فى حروب لا نهائية مبررا لردة فعل اضطهادنا لمسلمى فرنسا ويشدد على ان الحروب الكلامية المكررة التى يصنعها التضخيم الاعلامى حيث تنتعش صحافة الراى بدل صحافة الاعلام سواء اتعلق الامر بالمساجد ام بالصلوات ام باللباس ام بالتغذية تجمل فرنسا مريضة بذاتها فهذا التضخيم الاعلامى يدفع فرنسا الى رفض التعددية التى توجد فيها وعدم تقبل تنوعها وبالنتيجةعدم تحمل تحدياتها الاجتماعية ويعترف بلنيل بأن مصطلح الاسلام موفوبيا اصبح يستعمل من طرف جماعات سياسية لاستقطاب كتلة انتخابية اكثر اتساعا والمطالبة بحق التعبير عن كراهية الدين الاسلامى والمسلمين والمقلق اكثر ان احدى الفصائل المتطرفة قد انتقلت من مستوى الخطابات الى مستوى الممارسات لافتا الى انه بماسيرة هذا المنطلق الخطير فإن تعنيف سيدة محجبة ليس سوى عمل نضالى ضد ممارسة تعد نوعا من الاضطهاد الممارس بحق النساء ويوضح بلينيل ان اختزال المسلمين فى سلوك بعض الافراد او تعميم سلوك بعض الافراد على المجتمع من شانه ان يزيد من الهوة بين ابناء المجتمع فيقول هذا الاختزال لملمى فرنسا فى اسلام واحد يختزل بدوره فى الارهاب والاصولية ليس من شانه توفير الحماية لنا بل هو افضل هدية نقدمها للراديكالية الدينية فى سياق لعبة المرايا حيث المماهاة الكزينوفوبية تبرر الممااهاة الهوياتية اى ان الاسلاموفوبيا تبرر الانغلاق والتممترس خلف الهوية كنتيجة طبيعة لاجواء الشحن ضد الاسلام**

**تصنيف مرفوض**

**يرفض بلنينيل فكرة تصنيف الحضارات ويراها خطرا على حالة المسلم بين المجتمعات والشعوب ولذا فقد استنكر تصريحا لسياسى فرنسى وكان مرشحا للرئاسة 2012 قال فيه ليست لكل الحضارات القيمة نفسها مشيرا الى وجود حضارات اكثر تقدما من اخرى او ارقى من اخرى والى انه يقصد الاسلام ويشيد بلينيل يرد احد النواب بان تصريحات هذا السياسى اهانة للانسانية وفرت فى االماضى ارضية خصبة لنمو الايديولوجيات الاروروبية التى انتجت مراكز الاعتقال النازية ثم عقب بلينيل بالقول فى ازمنة الانحطاط الوطنى تاتى فترات نحس فيها بالخزى ليس فقط من المسؤولين بل ايضا من الصحافة التى ما بين التبعية واللاوعى تساير هذا الاسلوب الهابط بقصد انها وقفت موقفا سلبيا من هذه التصريحات العنصرية ويؤكد بلينيل انه ليست هناك من حضارة اختصت وحدها بغياب الجهل او بهيبة التألق والاشعاع وليس من شعب يحتكر وحده الجمال والعلم والذكاء وكما يقول مونتين كل انسان يحمل الشكل الكامل للشرط البشرى ويحذر بلينيل من ان القول بتصنيف تراتبى للبشر وما ابدعوه من ثقافات زاديان وحضارات من شانه فتح طريق الفرز والانتقاء إقصاء من يتم اعلانه اقل تقدما وإعلاء من يفترض راقيا وإنكار إنسانية من حكم عليه بالدونية**

**اندماج لا انصهار**

**وفى لفتة عميقة يفرق بلينيل فيما هو مطلوب من المسلمين بين الاندماج والانصهار حيث يرى ان الاول ضرورى ومهم وهو يعنى حسب رؤيته التعبير عن السعى نحو الوحدة فى إطار التعددية السعى نحو حياة نشيدها ونبتكرها معا من خلال نسج علاقات دون هدر او ضياع بينما يرفض بلينيل الدعوة للانصهار مبينا ان الانصهار إكراه مرعب كما كان الشأن مع الاستعمار لاسيما الفرنسى الا نقبل الاخر إلا اذا تخلى عن ذاته الا نحفل ب هالا اذا قرر ان يشبهنا الا نوافق عليه الا اذا تنازل عن كل ما كانه اما عن كيفية الخروج مما يسمى مشكلة الاسلام فى فرنسا فقد اوضحها بلينيل فى مقاله الذى نشره عقب احداث شارلى إبيدو بعنوان رسالة الى فرنسا حيث دعا الى ترسيخ الانسانية كمطلب مشترك ملح دون تمييز حسب الاصل او المظهر او المعتقد فى إطار الاحترام المتبادل لموروثاتنا وانتماءاتنا واكد بلينيل حاجة فرنسا الى الانتفاضة لكنها بحسب تعبيره ليست انتفاضة سياسات الخوف التى تريد جرنا الى الحرب انما انتفاضة المساواة والسياسات الديمقراطية والاجتماعية التى وحدها تستطيع صد موت الامل الذى تقتات منه حرب الهويات هذه كانت صرخة صادقة لكاتب فرنسى منصف انحاز الى الانسانية فى مقابل من يستعيدون جولة اخرى من صدام الحضارات والارث الاستعمارى بينما هم فى الحقيقة يهربون من سؤال المسألة السياسية والاجتماعية**